

قاطر ومقطور

بقلم الياس بجاني

مسؤول لجنة الإعلام في المنسقية العامة للمؤسسات اللبنانية الكندية

هناك توافق تام، لا بل فناعة راسخة لدى كافة الشرائح اللبنانية أن الحرية والديموقراطية وحقوق الإنسان والانفتاح على العالم الحر هي اقانيم أربعة من دونها لا وجود للبنان ولا استمرار له. من هذا المنطلق تناول الغياري على الحريات بقلق ما تتأقلته وسائل الإعلام مؤخراً من أنباء مزعجة ومقلقة، بل مخيفة، بشأن مشاريع سورية-لبنانية مشبوهة ترمي إلى تحويل خطوط شبكات الإنترنت والاتصالات السلكية واللاسلكية كافة telecommunications من لبنان إلى سوريا وإنشاء مركز رئيسي لها هناك.

تصرف متولي الحكم اللبناني هذا من شأنه تشديد الرقابة الإعلامية والمعلوماتية على شبكة الاتصالات اللبنانية بكافة تشعباتها من هاتف ورايو وتلفزيون وانترنت وأقمار صناعية وغيرها ووضعها بالكامل تحت رحمة النظام السوري الذي يعد من أكثر الأنظمة في العالم تخلفاً في مجال المواصلات السلكية واللاسلكية حيث لا وجود للإنترنت في سوريا إلا في بعض الدوائر الحكومية والشركات الكبرى المملوكة من قبل الدولة. حتى أن عصر الهاتف الخليوي (السيليولر) ما زال غائباً عن الشقيقة ومقتصرأ فقط على أجهزة مخابراتها وحكامها والمحظيين من مؤيدي النظام، في وقت وصل فيه الإنسان إلى القمر.

لم يعد خافياً على من يريد من أهلنا تشغيل حواسه الخمسة وما يزال يتمتع بضمير حي وأحاسيس وطنية طاهرة أن النظام السوري وكالتين يبتلع لبنان بشكل يومي وبخطوات مستمرة ومدروسة. فهو وعن طريق واجهات الحكم المنبطحه، لم يترك عصباً ولا شرياناً ولا حتى رافداً لبنانياً مؤسساتياً وخدماتياً ومعيشياً ونتاجياً إلا وربطه بالعجلة السورية: السياسة الخارجية، رئاسة الجمهورية، مجلس الوزراء، مجلس النواب، قوى الأمن من جيش ومخابرات، شركات الطيران ووسائل المواصلات كافة، الوقود، الكهرباء، الماء، التعليم، الإعلام، النقد، الزراعة والصناعة، الموائئ الخ.

إن استكمال "الربط والقطر" السوريين بالهيمنة الكاملة على وسائل الاتصال يفاقم في تقليص مساحات الحرية والسيادة والاستقلال والانفتاح الذين هم من مكونات لبنان ومن ركائز وجوده ككيان يتميز عن غيره من كيانات الشرق الغارقة في غياهب التخلف والجهل والتعصب وحكم الممالك والعسكر والهوس الديني. لم يعد مقبولاً تحت أي ذريعة التفرج والسكوت على ما يجري

لأنه في حال استمرت عملية "السورنة" الوقحة هذه على ما هي عليه، فلبنان سائر لا محالة نحو الزوال الأكيد كدولة وكيان وأمة وهوية. ويوم يصيح لبنان ال ١٠٤٥٢ كلم مربع مثل باقي أنظمة التخلف التي تحيط به ستختفي مساحة الحرية الوحيدة في الشرق الأوسط فتتصرح جبالنا وودياننا وتجف ينابيعنا ونكفهر سماؤنا وتحل علينا لعنة شهدائنا وأجدادنا. نسأل كم في لبنان وبلاد الاغتراب اليوم من بيلاطسيين يصمّون آذانهم عن سماع الحق ويغمضون أعينهم عن رؤية الحقيقة ويغسلون أيديهم من دم الكيان اللبناني الذي يسفك كل يوم عن طريق "السورنة"، ويتغاضون عن حق أهلهم في الكرامة والحرية والاستقلال؟

إن الأوطان تحتاج باستمرار لحكام وقادة ورجال دين يشهدون للحق ومستعدون للشهادة ليس فقط في أيام الحرب، بل أيضا في أيام السلم، علماً أن الشهادة تولد من فعل إيمان وفعل محبة بوطن وقضية إلى حد نسيان الذات وبذل النفس في سبيلهما. وقد جاء في الإنجيل المقدس: "ما من حب أعظم من هذا أن يبذل الإنسان نفسه عن أحبائه" (يو ١٥/١٣).

فأين حكامنا ومراجعنا الدينية من فعل الشهادة وهم "ييصمون بالعشرة" للمحتل بسكوتهم عن صلب شعبهم وربط كافة سبل حياته بالعجلة السورية؟ إن هؤلاء يغمضون عينوهم حتى لا يروا الظلم، ويصمون آذانهم حتى لا يسمعوا كلمة الحق. إن خنوع حكامنا ومعهم أصحاب الجيب والعمائمهم وقبولهم بالمشيئة السورية وتغطيتهم لمؤامرة "سورنة" لبنان جريمة كجريمة بيلاطس الذي غسل يديه من دم المسيح وهو متأكد من براءته.

فكم عرف لبنان طوال محنته، وما زال، من أولئك البيلاطسيين الذين يقعدهم جبنهم أو مصالحهم عن إعلان الشهادة للحق، والمطالبة بحقوق الوطن والدفاع عنها، حتى لو اضطروا إلى الاستشهاد. لبنان ينزلق إلى أعماق العالم الثالث تحت وطأة المؤامرات الإقليمية الدولية وما يتبعها من تأمر الأجهزة المحلية المسلطة على رقاب اللبنانيين. فلا قانون في وطن الأرز ولا دولة قانون ولا كرامة ولا احترام للإنسان.

متولو الحكم يجرون لبنان إلى الخراب والانقسام والتفكك، ولكن المؤمنين بلبنان وهويته وحقه في حياة حرة كريمة، وهم أكثر، ورغم الحال الرديئة وفقدان لقمة العيش والحرية والتسلط والقهر والكبت والتوقيفات والنفي والإجرام، فإنهم بإذن الله مستمرون في نضالهم وواقفون أن حلمهم وحلم شهدائهم سيتحقق وربط لبنان بشبكة الاتصالات السورية لن يقلل من إيمانهم بأحقية قضيتهم المقدسة، بل سيزيدهم عناداً وإصراراً على المضي في نضالهم من أجل استعادة السيادة والقرار الحر والانعقاد من نير عبودية أخوية قايين.